Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهذا الشاهد المأخوذ بصورة عشوائية تقريباً من «البرج العاجي»(١) لايقصد بها أن يمثل هنري جيمس في أية حالة من الحالات «الأمثل» الافتراضية، مثلما أن الفقرة الرفيعة من «الفردوس المفقود» لايقصد بها أن تكون الحالة الأسوأ المفترضة عند ملتون . وإنما المسألة في اختلاف النيّة ، وفي إحكام صنعة الاسلوبين اللذين ينطلقان كلاهما من منطلق البساطة النقيّة، أما الصوت فليس بالمجافي للموضوع أبداً ،بالطبع، ولاريب أن اسلوب جيمس يعتمد في أثره اعتماداً كبيراً على تردّد صوت ، هو صوت جيمس الخاص الذي يتولى الشرح المرير غير أن التعقيد ، عند جيمس ، مرده الى تصميم على ألّا يبسِّط ، وألّا يفقد في ذلك التبسيط أيّاً من التعقيدات والممّرات الجانبية للحركة الذهنية ، على حين ان التعقيد في جملة ملتون تعقيد بالفعل ، تعقيد يتم إدخاله عن قصد وتصميم فيما كان من قبل فكرة مبسطّة ومجرّدة . فالروح الملازمة هنا ليست هي التفكير أو التحدّث ، وإنما هي صياغة كلام مهيّأ له بعناية ، والترتيب قائم من أجل القيمة الموسيقية، لا من أجل الدلالة. وذلك أن الحديث المسترسل الطلق ، كما هو عند الشخصية الهوميرّية أو الدانتيّة خليق أن يجعل المتحدث واقعياً بالقياس إلينا بصورة أقرب كثيرا ــ غير أن الواقع ليس جزءاً من القصد. وإنما يجب علينا في الحقيقة أن نقرأ مثل هذه الفقرة بغير الطريقة التحليلية لنخرج بالانطباع الشعري، ولست ألمح الى أن ملتون ليس لديه فكرة يفضي بها وينظر إليها على أنها هامة : وإنما ألمح إلى أن بناء الجملة تقررّه الدلالة الموسيقية ، والخيال السمعيّ **أن أكثر مما تقرره** محاولة متابعة الحديث أو الفكرة المطروحة في الواقع. وعلى الاقل فإن بين المتعة التي تنشأ عن الجَلَبة، والمتعة التي ترجع الى عناصر أخرى، أقرب الى الممكن مما هو مع شعر شكسبير الذي يندمج فيه الخيال السمعيّ وخيال الحواسّ الأخرى اندماجاً أوثق ، ويندمجان معاً بالفكر . والنتيجة عند ملتون تعدّ ، بمعنى واحد من

---

(١) The Ivory Tower